أمريكا
رؤية
من
الداخل

هل هى حرب على الإسلام؟

مَنْ يتابع ما ينشر وما يقال عن الإسلام فى أنحاء العالم فلابد أن يشعر بالقلق الشديد.. ومن يحاول فهم العقلية الجديدة التى تحكم أمريكا الآن وموقفها من الإسلام فسوف يشعر بالخطر القادم.

الأستاذ محسن محمد بقلمه الرشيق كتب مقالا فى صحيفة الوفد بعنوان (رجال وراء الستار فى أمريكا) زادت به مخاوفنا، قال فيه: إن الحقيقة السائدة فى أمريكا هذه الأيام أن واشنطن ما دامت قد نجحت فى تدمير الشيوعية كعقيدة وتفكيك الاتحاد السوفيتى كدولة، فلم يبق أمامها إلا أن تغير المسلمين، ويقول أصحاب هذا الفكر: الآن أمامنا عقيدة أخرى تهدد الغرب مثل الشيوعية، وهذه العقيدة هى الإسلام.. ويقولون: الإسلام هو المعركة القادمة!

ويقول الأستاذ محسن محمد: لا داعى - فى العالم الإسلامى - لخداع النفس، ثم شرح فى مقاله أفكار بعض الرجال الذين يؤمنون بضرورة مواجهة الإسلام، ومواقعهم فى الإدارة الأمريكية، وهم: راديك سيكورسكى، بولندى الأصل، عمل صحفيا، ونائبا لوزير الدفاع ثم وزيرا للخارجية فى بولندا، ثم انتقل إلى أمريكا وأنشا جماعة باسم (مبادرة الأطلنطى الجديدة) وأصبحت هذه الجماعة مؤثرة فى التفكير السياسى فى واشنطن. وملخص أفكاره أن هناك شيئا اسمه (الفاشية الإسلامية) هى التى تهدد العالم الآن.

وهناك أيضا وليم كريستول رئيس تحرير صحيفة (ستاندارد) الأسبوعية، كان شيوعيا، وانقلب على الشيوعية، وكان مسئولا عن مجلة شهرية تمولها المخابرات الأمريكية اسمها (انكاونتر) وكان هدفها الوحيد توحيد المفكرين ضد الشيوعية، وعمل مساعدا لعضو الشيوخ هنرى جاكسون الذى قام بتجديد سياسة محاربة الشيوعية، وكريستول الآن تحول إلى الهجوم الدائم على الإسلام، والنموذج الثالث هو الأب

ريتشارد بايبس، وهو يهودى بولندى مهاجر إلى أمريكا منذ عام ١٩٣٩، يلقى محاضرات منتظمة وأقرب أتباعه ريتشارد بيرل مستشار دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى، وكان الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان يرى أن هناك سوفييت طيبين وآخرين أشرارا، ولكن بايبس أقنعه بأن كل السوفييت أشرار، ومن هنا وصف ريجان الاتحاد السوفييتى بأنه امبراطورية الشر، وكوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومى من أهم الشخصيات التى تأثرت بأفكار بايبس، وخاصة نقده للذين يطالبون بالتفرقة بين (إسلام طيب) و(إسلام سيئ) وهما متفقان على أن أصحاب هذا الرأى جبناء لا يريدون مواجهة الواقع، فالشيوعية كلها سيئة، وكذلك الإسلام!

والأب ريتشارد بايبس له ابن اسمه دانيال بايبس أنشأ منتدى فى فيلادلفيا باسم (منتدى الشرق الأوسط) وأفكاره تدور حول تخلف المسلمين.. ويقول: المسلمون لا يعرفون أين مكانهم فى العصر الحديث.. وعلى أمريكا أن تحتضن مسلمين قادرين على حماية المصالح الأمريكية.. ويقول: أبى استطاع إقناع ريجان بشن حرب لا تتوقف ضد السوفييت فانهارت امبراطوريتهم، ويجب اتباع هذه القاعدة نفسها الآن، والذى يجب أن نفهمه أن البعض فى الغرب لا يأخذ المتطرفين الإسلاميين مأخذ الجد، بينما الحرب التى نواجهها الآن هى نفس الحرب التى خضناها على الشيوعية حين أدركنا أن الشيوعية هى عدونا ولابد أن نهزمه، وعدونا الحالى هو الإسلام، وكما أعدنا تشكيل الاتحاد السوفييتى فإننا يجب أن نعيد تشكيل الشرق الأوسط.. الشيوعية عقيدة.. والإسلام عقيدة.. وإذا كنا لم نتهاون فى الحرب ضد العقيدة الشيوعية فإننا يجب أيضا ألا نتهاون فى الحرب ضد الإسلام.

أليس من حق المسلمين أن يشعروا بالقلق عندما يرون أقرب المفكرين إلى البيت الأبيض يؤمنون بمثل هذه الأفكار؟

▣ ▣ ▣

ثم ألا يزيد القلق مقال الكاتب البريطانى باتريك سيل فى صحيفة الحياة اللندنية يوم ١٤ فبراير ٢٠٠٣ وقال فيه: لا شىء يمكن أن يمنع صقور واشنطن المصممين

على الحرب.. ثم يتساءل: ما هى الجذور الحقيقية للحرب؟ ومن الذى يقود السباق للحرب؟ ويجيب بأن فى الولايات المتحدة ائتلاف بين ثلاث قوى رئيسية يتكون منها (حزب الحرب). أولها: ما يسمى (المحافظون الجدد) أو (الامبرياليون الجدد) الذين يريدون فرض الهيمنة الأمريكية على العالم، وإبعاد أى غريم محتمل، ويقود هؤلاء نائب الرئيس ديك تشينى، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وقد برهن هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أن القوة وحدها لا يمكن أن تضمن الأمن، والخوف الشديد من عملية أخرى تسقط فيها أعداد من القتلى دفع إدارة بوش إلى تطوير مفهوم (الحرب الوقائية) وهدفها استباق احتمال قيام دولة مارقة (مثل العراق) يوما ما فى المستقبل بتزويد مجموعة إرهابية بأسلحة دمار شامل يمكنها أن تقتل آلاف وعشرات الآلاف من الأمريكيين، وهذا هو التبرير المعلن للحرب المقبلة، وإن كان الطمع فى السيطرة على موارد النفط فى الشرق الأوسط يأتى بوضوح كمبرر ثان للحرب.

وتتكون المجموعة الثانية فى (حزب الحرب) كما يقول باتريك سيل من اليهود الأمريكيين اليمينيين القريبين من حزب شارون فى إسرائيل، وهؤلاء يتمتعون بنفوذ لم يسبق له مثيل داخل الإدارة الأمريكية، وينتمى العديد من هؤلاء فى نفس الوقت إلى تيار المحافظين الجدد، وهمهم الرئيسى هو أمن إسرائيل، وتوسعها، وهيمنتها على المنطقة، وأبرز هؤلاء (بول ولفوفيتز) نائب رامسفيلد وزير الدفاع، وهناك كثيرون غيره يحتلون مواقع ذات نفوذ داخل الحكومة وخارجها، وفى مراكز التفكير، والإعلام، والمنظمات ذات التأثير.. وجميعهم يصيح بالحرب كصوت واحد.

أما المجموعة الثالثة فتتألف مما يسمى (المسيحيون الأصوليون) أو (المولودون مجددا) مثل الرئيس جورج بوش نفسه، ووزير العدل الجنرال جون اشكروفت، وعدد من المنتمين إلى (حزام التوراة) الأمريكى الذين يؤمنون بأن الله أعطى الأرض المقدسة لليهود.. ومن هؤلاء أيضا ديفيد فروم الذى كان يكتب خطابات بوش وهو صاحب تعبير (محور الشر)، وله كتاب يدور حول فكرة أساسية هى أن السلطة الفلسطينية هى مركز الإرهاب الدولى!

ألا نشعر بالقلق عندما نعرف كل هذا ؟

▣ ▣ ▣

وبماذا نشعر عندما نقرأ كتابا مثل كتاب (الأصولية فى العالم العربى) لأستاذ أكاديمى اسمه (ريتشارد هرير دكمجيان) أستاذ العلوم السياسية فى جامعة نيويورك، ومحاضر فى شئون الشرق الأوسط فى معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية، وعمل مستشارا لوزارة الخارجية ووكالة التنمية الدولية.. وهو أرمنى من مواليد حلب بسوريا عام ١٩٣٣ ونجد فى الكتاب صياغة عصرية لنظرية قديمة عبّر عنها البارون كارادى فور منذ سنوات طويلة بقوله: (أعتقد أن علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامى مستخدمين الانقسامات العرقية والسياسية..). وفى الكتاب نلمس إلى أى حد يتشابك الفكر الأكاديمى مع الفكر الحكومى والسياسات، ونعرف أن وصف الأصولية الإسلامية ليس من العالم الإسلامى، لأن الأصولية نشأت فى الغرب وتمثلت فى فرقة من البروتستنت تؤمن بالعصمة الحرفية لكل كلمة فى الكتاب المقدس، كما تؤمن بأن أفرادها يتلقون مباشرة من الله ما يجب عليهم عمله، وهم يقفون موقف العداء من العقل والتفكير العلمى، ويرون أن استخدام القوة والعنف ضرورى لفرض معتقداتهم.. ونعرف أيضا قصة اليهودى، المصرى الأصل، الأمريكى الجنسية الدكتور نداف سفران الذى كان فى عام ١٩٨٦ مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط فى جامعة هارفارد، وكشفت الصحف أنه تلقى سرا ٤٥ ألف دولار من وكالة المخابرات المركزية لعقد مؤتمر دولى عن (الأصولية الإسلامية).. ونكتشف أن كثيرا مما يكتب فى الغرب عن الإسلام والمسلمين على أنه بحث علمى نزيه، إنما هو عمل مخطط تدعمه حكومات وشركات وجمعيات وتوجهه لخدمة مصالحها.

ولكى نعرف كيف يعملون، فإن كتاب «الأصولية فى العالم العربى»، مثلا هو فى الأصل دراسة لإعداد تقرير للحكومة الأمريكية، شارك فى إعدادها أساتذة من عدة جامعات وعقدت عدة مؤتمرات للتعرف على آراء مفكرين من مختلف أنحاء العالم، ثم وضعت فى النهاية أمام المسئولين فى الحكومة.

وفى البداية يقول التقرير: إن العالم الإسلامى ملىء بالمشاكل، والمجتمع الإسلامى يواجه أزماته عادة بالعودة إلى الإسلام، ومنذ عام ١٩٨٠ اتخذت الحركة الأصولية الإسلامية تحركا قويا له آثار استراتيجية، واقتصادية، وسياسية مهمة. بدأت بالاستيلاء على المسجد الحرام فى مكة عام ١٩٧٩ والثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ أيضا، والاضطرابات فى المنطقة الشرقية فى السعودية، ومقاومة الاحتلال السوفيتى فى أفغانستان، وحركة الإخوان المسلمين فى سوريا، والمعارضة المسلحة لحزب البعث العراقى، واغتيال الرئيس السادات، والهجمات الانتحارية ضد إسرائيل والقوات الأمريكية والفرنسية فى لبنان، والشغب فى البحرين والكويت والجزائر وتونس والمغرب..

ويرجع التقرير ظاهرة الأصولية الإسلامية إلى أزمة الهوية، والشعور بالعجز، والأزمة الثقافية، والأزمة الاقتصادية والاجتماعية، وفشل مشروع القومية العربية، والدعم غير المشروط من أمريكا لإسرائيل، ويصل إلى أن الصراع سوف يستمر بين مصالح الولايات المتحدة والأهداف الإسلامية، وليس هناك مجال- ولو نظريا- للتوفيق بين الجانبين، ولكن فى نطاق السياسات العملية يمكن اتخاذ خطوات معينة للتعايش، والتعاون المحدود، بناء على التطورات فى المنطقة، والتعديلات فى سياسة الولايات المتحدة.. ويقول التقرير: إن على أمريكا من أجل حماية مصالحها الحيوية فى المحيط الإسلامى العربى أن تعمل أولا على تسوية سلمية للصراع العربى الإسرائيلى، تتضمن قيام كيان فلسطينى، مع وجود إسلامى واضح فى الأماكن المقدسة فى القدس، وثانيا أن تشجع وتدعم الإصلاحات الاجتماعية والسياسية خاصة فى الدول الصديقة لأمريكا للوصول إلى مستوى أعلى من العدالة الاجتماعية والاقتصادية وحماية حقوق الإنسان، وكل تقدم فى هذين المجالين سوف يقوى شرعية الصفوة الموالية لأمريكا عن طريق إزالة سببين رئيسيين من أسباب الاستفزاز الذى أثار ردود الفعل الأصولية، ومن المحتمل أن يؤدى تحسين بيئة الأزمة إلى تحييد العناصر المتطرفة ويوجد مناخا ملائما لظهور نخبة إصلاحية. وقال التقرير أيضا: إن خبرات الماضى أثبتت أن التغلغل

الأمريكى الزائد اقتصاديا وثقافيا وعسكريا يؤدى إلى الإضرار بمصالح الولايات المتحدة على المدى الطويل، ولا يفيد فى المجتمعات الإسلامية ذات الحساسية المفرطة تجاه أشكال النفوذ الأجنبى.

وفى فترة من الفترات كانت الإدارة الأمريكية تعمل بهذه النصائح، لكنها الآن لم تعد تفكر فيها بعد أن أصبح منطق القوة والإذعان هو الغالب على التفكير الاستراتيجى الأمريكى.

▣ ▣ ▣

أمريكا بعد عام ٢٠٠٠ فقدت التسامح، وروح العدالة، والإدارة الأمريكية هى التى تغذى مشاعر الشعب الأمريكى بالكراهية للإسلام والمسلمين، ففى كل يوم تعلن عن القبض على عدد من المسلمين يشتبه فى أن لهم صلة بتنظيم القاعدة، وبأنهم كانوا يعتزمون القيام بأعمال إرهابية، ثم يبين عدم صحة هذه الاتهامات، ولكن ترديد الأخبار والحكايات عن علاقة الإسلام والإرهاب يكفى فى حد ذاته لإثارة الكراهية لهؤلاء المسلمين الذين تدفعهم عقيدتهم إلى تهديد أمن الأبرياء فى أوطانهم..

ومن أغرب ما فعلته الإدارة الأمريكية أواخر يناير ٢٠٠٣ ما ذكرته مجلة نيوزويك الأمريكية، فقد طلب مكتب التحقيقات الفيدرالية (اف. بى. آى) من ٥٦ فرعا له على مستوى الولايات حصر جميع المساجد، ووضع خرائط لها، وتسجيل المترددين عليها، وقيل: إن ذلك يتم فى إطار الحرب على الإرهاب، وقال مدير الشرطة الفيدرالية الأمريكية (روبرت مويلر): إن هذه الدراسة ستستخدم لأهداف لها علاقة بالتحقيقات ضد الإرهاب، وكذلك لكى يتم التنصت على ما يجرى داخل هذه المساجد، وقيل أيضا: إن بعض المساجد تستخدم لتغطية نشاطات إرهابية إجرامية، ونقلت مجلة نيوزويك تعليق المتحدث باسم مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية الذى قال فيه: (من المخيف أن تكون تلك هى السياسة الرسمية للدولة).

وحتى شركة بوينج الأمريكية التى تنتج الطائرات، حين أرادت إنتاج فيلم للدعاية عن أحدث منتجاتها من الطائرات الحربية، لم تجد إلا أن تصور الطائرات الجديدة وهى تهاجم مدينة إسلامية ظهرت فيها المساجد بوضوح، وحين احتج المسلمون على هذا الفيلم وقالوا: إنه يقوى الشعور بالاضطهاد الذى يعانى منه الكثير من المسلمين الآن، كما يقوى شعور العداء لدى الغربيين لكل مسلم، كان رد الشركة أنها أظهرت المساجد لكى تبين مدى الدقة فى تدمير الأهداف المقصودة دون المساس بالمساجد، وأن هدفها هو توضيح دقة التكنولوجيا الحديثة فى تفجير المبانى المقصودة فقط، وهذا ما يعبّر عنه القادة الأمريكيون عندما يقولون: إن حروب أمريكا القادمة ستتم بدقة وكأنها عمليات جراحية، ولم تهتم شركة بوينج بما نشرته الصحافة البريطانية تعليقا على هذا الفيلم، وقالت فيه: إن اختيار مدينة إسلامية هدفا للتدمير يؤكد ما يزعمه البعض بأن الولايات المتحدة لا تشن حملة ضد الإرهاب بل إنها حرب على الإسلام، وقالت الصحافة البريطانية أيضا: إن هذا الفيلم (عديم الذوق) ولا يراعى شعور المسلمين.

والمسألة ليست مراعاة الذوق ومشاعر المسلمين.. المسألة تبدو كأن فى داخل العقل الأمريكى نوايا تجاه الإسلام والمسلمين عبّرت عنها نظرية صدام الحضارات التى أصبحت من أكثر النظريات رواجا وتصديقا كأنها حقيقة من حقائق الواقع لا يمكن إنكارها، ولا يمكن تفاديها.

▣ ▣ ▣

وفى أمريكا الآن قانون لا يتصور أحد أن يكون مثله فى موطن الديمقراطية والحريات، هو قانون «مكافحة الإرهاب» الذى يفرض على المسلمين والعرب أن يسجلوا أسماءهم لدى سلطات الهجرة، وتؤخذ بصمات أصابعهم، ويخضع كل واحد منهم للاستجواب والتحقيق، ويلزم بالإبلاغ عن تحركاته إذا غير عنوانه أو انتقل من ولاية إلى ولاية أو من مدينة إلى أخرى.

وقد وجهت منظمة العفو الدولية النقد إلى هذا القانون، وطالبت الحكومة الأمريكية باحترام حقوق الإنسان بالنسبة للأجانب، وأدان تقرير المنظمة ما تقوم به السلطات الأمريكية من اعتقال أعداد كبيرة من الرجال والشبان المنحدرين من دول إسلامية، ويقول التقرير: إن المسلمين الذين يتقدمون لتسجيل أسمائهم فى مكاتب الهجرة تنفيذا لهذا القانون يلقون معاملة سيئة، ويتم اعتقال بعضهم دون بيان السبب، أما المعتقلون فإنهم يتعرضون للإهانة ويمنع عنهم الطعام والعلاج الطبى اللازم لبعضهم، كما يحرمون من حق الاستعانة بمحام، ويضطر بعضهم إلى النوم على الأرض..

▣ ▣ ▣

ولم يكن تقرير منظمة العفو الدولية وحده هو الضوء الأحمر الذى ينبه إلى كل هذه الاعتداءات على المسلمين، فقد تظاهر المئات من مختلف الأجناس والديانات فى أمريكا للتنديد بهذه الإجراءات التى تمثل تمييزا ضد الأقليات المسلمة والعربية بوجه خاص..

أما المسلمون الأسرى فى قاعدة «جوانتا نامو» الأمريكية فى كوبا، فإنهم يعانون من أسوأ معاملة حدثت فى المعتقلات على مر التاريخ، فلم يسمح لهم بمحام لحضور التحقيقات، ووضعوا فى زنزانات ضيقة من السلك الصلب مثل الحيوانات فى حدائق الحيوان، ومنعوا من الاتصال بأهاليهم، ولا أحد يهتم بما جاء فى تقرير منظمة العفو الدولية عن الأحوال السيئة لهؤلاء الأسرى مما يشكل خرقا لمبادئ حقوق الإنسان، واعتداء على حقهم فى أن يقدموا للمحاكمة إذا كانت هناك تهم معينة موجهة إليهم: أو إعادتهم إلى بلادهم لمحاكمتهم فيها، ويقول تقرير منظمة العفو الدولية، إن المنظمة وجهت عدة رسائل إلى السلطات الأمريكية تطلب فيها معاملة هؤلاء الأسرى طبقا للقانون الدولى، وطلبت السماح لها بزيارة قاعدة «جوانتا نامو».. لكنها لم تتلق أية إجابة.!

▣ ▣ ▣

والمسلمون فى أمريكا وفى دول العالم مُعَرَّضُون الآن للعقاب من أمريكا لأنها تحمّلهم المسئولية عن الهجوم الإرهابى فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وإن كان الكاتب المعروف وليم فاف قد كتب فى صحيفة هيرالد تريبيون يوم ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢ مقالا بعنوان (تعارض القيم)، قال فيه: إنه بعد هجمات سبتمبر كان من أشد المحظورات السياسية القول بأن هناك علاقة لأى طرف أمريكى بهذه الهجمات، وعندما حاول بعض الصحفيين ومقدمو البرامج مناقشة الافتراض بوجود أصابع أمريكية، فقدوا وظائفهم وتم فصلهم فورا. ويقول وليم فاف: ومع ذلك فإن كل من له علم بالعلاقة بين أمريكا وما يجرى فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى يعلم أن ذلك صحيح جزئيا على الأقل.

ويقول وليم فاف إن السبب الأول لابتعاد المسلمين والعرب عن الولايات المتحدة انحيازها لإسرائيل منذ ١٩٤٨ وخاصة منذ ١٩٦٧، ومع ذلك فإن ما يركز عليه الأمريكيون فى تحليلهم للأزمة بين أمريكا والشعوب الإسلامية والعربية هو ما يسمونه (أزمة الحداثة) فى العالم الإسلامى، ويقصدون به تعارض القيم بين المجتمع الإسلامى والغرب الحديث، بحيث تبدو القوة المادية للغرب مرتبطة بنظام القيم الغربية الذى يتعارض مع نظام القيم الإسلامية، وقد فهم بعض المحللين الإسلام على أنه دين يرفض العلم، ويرفض التقدم، ويرفض التحديث، ويدعو إلى البقاء فى الماضى واستعادة كل ما كان فيه.. حتى إن الكاتب البريطانى المحافظ روجر سكروتون Roger Scruton قال فى كتاب أخير له: (لماذا نلوم الإسلام لأنه يرفض التكنولوجيا الغربية، ويرفض المؤسسات الديمقراطية الغربية ويرفض أيضا المفاهيم الغربية عن الحرية الدينية، بينما الإسلام قائم على فكرة إرادة الله الثابتة التى كشف عنها مرة وإلى الأبد لآدم فى شكل مجموعة من القوانين الثابتة التى لا يمكن تغييرها.؟ فلماذا يحاول الغرب تغيير الأساس الدينى للإسلام إذا كان المسلمون لا يريدون ذلك.. حتى ولو كانت المبادئ والأفكار الأساسية التى تحرك سلوكهم هى السبب فى تخلفهم؟ ولماذا تضغط حكومات الغرب على حكومات العالم الإسلامى لكى تغير الأنظمة السياسية والاجتماعية وفقا

للمفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان، وحرية الفكر السياسى والدينى، وحرية النقد.. الخ وباختصار لماذا نطالب المسلمين بأن يصبحوا (نحن)؟! هل لأننا فى الغرب نرى أن المسلمين يجب أن يصبحوا مثلنا؟ وهل لأن الفكر الأمريكى وصل إلى أن مرحلة الهيمنة الأمريكية تمثل الآن نهاية التاريخ، وأن العالم كله يجب أن يعمل ويفكر بالطريقة الأمريكية؟! ولماذا لا يريد الغربيون أن يفهموا أن المسلمين التقليديين يرفضون ذلك ويعتبرونه ردة وخروجا على شريعة الله.؟ وبالنسبة للناس فى الغرب فإن الإنسان الغربى هو الإنسان الحر، والأمريكيون يعتبرون أنفسهم ورثة التراث الغربى من العنف والقيم، وبالنسبة للناس فى المجتمعات الأخرى فإنهم يعتبرون كل غريب عدوا، ويرون الغربيين فى حالة من الانحلال الأخلاقى والاجتماعى.

يصل وليم فاف إلى أن التصادم راجع إلى تمسك كل طرف بالقيم الخاصة به ورفض القيم التى يؤمن بها الآخر، ويضاف إلى الخوف الطبيعى لدى المسلمين من الأجانب أن يشاهدوا على أرضهم قواعد عسكرية لهؤلاء الأجانب، ومحاولات للضغط لتغيير السياسات والنظم فى الدول الإسلامية، وفقا لسياسة البنتاجون فى العقد الماضى، ووجود قائد إقليمى أمريكى لكل منطقة جغرافية فى العالم، ولا تريد أمريكا أن تعترف بأن تواجدها العسكرى وتدخلها بصورة فظة وانحيازها لإسرائيل هى الأسباب الحقيقية لظهور رد الفعل فى العالم الإسلامى الذى تسميه الصحافة الأمريكية (الإسلام الراديكالى). ولقد كانت القواعد العسكرية الأمريكية فى الأصل قواعد مؤقتة لحماية الكويت وطرد العراقيين، ثم أصبحت قواعد دائمة، وهذا يؤدى إلى توتر العلاقات بين أمريكا والعالم الإسلامى، خاصة بعد أن تحولت القواعد العسكرية الأمريكية إلى قواعد دائمة أيضا فى أفغانستان، وأوزبكستان، وكازاخستان، وأصبح التواجد العسكرى الأمريكى باسم الحرب على الإرهاب يمتد إلى جورجيا وجنوب الفلبين حيث يوجد المسلمون هناك، وسوف يكون الاحتلال العسكرى الأمريكى الطويل للعراق الخطوة القادمة..

فماذا تنتظر أمريكا من المسلمين؟

أن يقفوا صفوفا فى الطرقات لاستقبال القوات الأمريكية الغازية ويهتفوا بحياة أمريكا؟

إن وليم فاف يقول: إن ما تفعله أمريكا هوالسبب فى رفض بعض المسلمين لما يأتى منها، سواء كانت الحداثة أم غيرها، ما دامت مرتبطة بالاحتلال العسكرى لأراضيهم.

ثم يقول: إن واشنطن توسع تواجدها العسكرى فى العالم الإسلامى دون أدنى شعور منها بأن فى ذلك اعتداء على أراضيهم، وتدعى أن ذلك ضرورى لمحاربة الإرهاب الذى يعادى أمريكا، بينما العداء لأمريكا فى العالم الإسلامى نشأ بسبب هذا التواجد العسكرى، والإرهاب نشأ بسبب سياسات أمريكا.. ولا أحد فى أمريكا يرى هذا التناقض فيما يبدو.

هذا ما قاله وليم فاف فى صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية.

▣ ▣ ▣

ومع ذلك يكفينا ما يقوله المفكر اليهودى الأمريكى الكبير نعوم تشومسكى الذى يعتبرونه رمزا للمفكر الشجاع الذى لا يتردد فى تعرية من هم فى مراكز القوى، ويبدى رأيه بصرف النظر عن الفوارق الدينية والعرقية والثقافية بين الشعوب، وقد وصل إلى درجة أن اعتبرته (نيويورك تايمز) أهم مفكر على قيد الحياة، وأنه واحد من اثنين فقط يستحقان لقب (عبقرى).

تشومسكى فى تحليله للأزمة بين أمريكا والشعوب الإسلامية يذكر بعض المواقف الأمريكية الأخيرة كأمثلة، فيقول: إن أمريكا تجاهلت قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ واستخدمت الفيتو لأول مرة لمنع صدور قرار من مجلس الأمن يدعو إلى إقامة دولتين: دولة إسرائيل ودولة فلسطين، وفسّرت القرار ٢٤٢ بأنه يدعو إسرائيل إلى انسحاب جزئى وحسب ما تقرره أمريكا وإسرائيل، وعندما وقّع الفلسطينيون والإسرائيليون

والأمريكيون إعلان المبادئ فى اتفاقيتى أوسلو الأولى والثانية فسرته أمريكا على أن أى اتفاق دائم لا يعنى تقديم أى شىء جوهرى للفلسطينيين فيما عدا بعض الجيوب السكانية المشابهة لما حصل عليه السود فى جنوب أفريقيا، وأن أى انسحاب سيكون حسب ما تراه أمريكا وإسرائيل، وبعدها ازدادت مشروعات الاستيطان بدعم معنوى ومالى من أمريكا.. وهناك أطنان من الأدلة على أن ما تم تخطيطه عبارة عن علاقة استعمارية تقليدية، فى مقابل إعطاء مزايا لشريحة من النخبة المتعاونة مع المستعمر!

ويرفض تشومسكى القول بأن أمريكا لا تستطيع الضغط على إسرائيل لتنفيذ الاتفاقات وإعادة الأراضى المحتلة، ويقول: إن أمريكا قادرة على التحكم، وقد حدث ذلك مرارا فى السابق، وهو أمر نابع من علاقة (الاعتماد)، ولكن يجب أن نعرف أن علاقة الاعتماد ليست مطلقة، وحتى الحكومات التابعة قادرة على التأثير أيضا. ويقول تشومسكى: لا فرق بين حزب العمل وحزب الليكود.. الفرق أن حزب العمل يملك قدرة أفضل على النفاق الغربى، ولذلك فهو الحزب الذى يساعد على الإبقاء على الصورة الإنسانية فى الوقت الذى يقوم فيه بأعمال مخجلة وغير إنسانية، لأن أغلبية أتباع حزب العمل من المهنيين والذين تعلموا فى الغرب، والعلمانيين، وطبقة المديرين.. وهكذا.. فهم يعرفون كيف يتصرفون بشىء من التحضر..وحين يتحدث تشومسكى عن (الأصولية الإسلامية) يقول: إن حركات الأصولية الدينية فى أمريكا من أكثر الحركات تطرفا فى العالم، فالأصولية ليست ظاهرة إسلامية بحتة، ويبدو أن التشدد ظهر فى العالم الإسلامى نتيجة الفشل، والخداع، والفساد، وفشل الأنظمة القومية العلمانية، وعدم وجود خطوات حقيقية تجاه الديمقراطية نابعة من الجذور، وإذا لم يتم علاج هذه السلبيات فسوف يواجه العالم العربى والإسلامى مخاطر حقيقية.. بل إنه سيواجه كوارث فى المستقبل القريب.

وعن مدى حرية واستقلال الإعلام الأمريكى يقول تشومسكى: إن وسائل الإعلام الأمريكية هى من أفضل الوسائل فى العالم، ولا تختلف كثيرا عن مؤسسات (التلقين) الأخرى فى أمريكا مثل الجامعات، ومجلات الرأى.. فالكل يعمل فى داخل إطار قوة

خارجية تمكن رؤيتها بسهولة، فهى كلها عبارة عن شركات كبرى، تبيع منتجاتها للجمهور، وإلى مراكز تجارية أخرى، ووسائل الإعلام الأمريكية تعمل مع المؤسسات الأخرى وفق حدود لعملها، وفى نفس الوقت ما زال هناك مجال للحرية أمام الصحفيين، وبعضهم يستغل هذه الحرية إلى حد بعيد، كما أن بعض الضغوط الشعبية توسع من دائرة تلك الحدود، أما أن يقال إن وسائل الإعلام الأمريكية مستقلة استقلالا كليا، فإن ذلك مستحيل، كما أنه مستحيل أن تطلب من شركة جنرال موتورز مثلا أن تتنازل عن أرباحها وحصتها فى السوق!..ما يهمنا التركيز عليه هو قول تشكومسكى إن الأصولية موجودة فى كل الأديان وكل المجتمعات وأولها أمريكا.. فلماذا الحديث عن الأصولية هنا والسكوت عن الأصولية هناك؟

▣ ▣ ▣

ولأن الشعور بأن موجات العداء للإسلام والمسلمين وصلت إلى درجة الغليان، وتتفجر فى الحروب العسكرية كما نرى، فقد اجتمع عدد من الباحثين الأمريكيين كان بينهم اولجا ديفيدسون Olga Davidson أستاذ بجامعة براندييس، ومحمد ماهلاتى Mahallati وهو سفير سابق لإيران فى الأمم المتحدة يعمل الآن باحثا فى جامعة ماكجيل فى مونتريال وكان مسئولا عن مفاوضات إنهاء الحرب العراقية الإيرانية، ومن بوسطن أعلنوا أن غزو أمريكا للعراق سوف يترتب عليه استخدام الدين كسلاح فى الدعاية، وسوف تكون النتائج قاسية، وفى وقت الحرب يصعب إسكات الأصوات والآراء الراديكالية على الجانبين وهى التى خلقت التوتر بين العقائد والديانات. وتكفى آثار حرب الخليج، وذبح المسلمين الأوربيين فى يوغسلافيا، والأعمال التى تقوم بها إسرائيل، والهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة فى سبتمبر ٢٠٠١ والحرب الأمريكية على أفغانستان، تكفى كل هذه الحروب وقد تركت مشاعر بالظلم فى مناطق مختلفة من العالم حتى أصبح العالم أشبه «بيرميل بارود» قابل للانفجار، وفى هذا المناخ الملبد بالغيوم لا نحتاج إلى رجال الدين الأمريكيين الراديكاليين المعروفين بالعداء للإسلام من الإنجيليين البارزين الذين يظهرون كثيرا فى التليفزيون مثل بات

رويرتسون، وجيرى فالويل، وفرانكلين جراهام، ويوجهون الإهانات إلى نبى الإسلام ويشعلون نيران التعصب والكراهية، ولابد أن يضع الأمريكيون فى اعتبارهم أن هناك ألفا وخمسمائة مليون مسلم فى أنحاء العالم يشكّلون الأغلبية فى ٥٣ دولة يشتركون فى الإيمان بعقيدة لها تاريخ طويل وتراث ضخم من الإسهام الروحى والعلمى والفنى والثقافى بلغات متعددة، وعندما يشوه هؤلاء المتعصبون النبى محمدا (صلى الله عليه وسلم) فهم يؤذون مشاعر الملايين من المسلمين وفيهم رجال دين لهم منزلة رفيعة فى دول كثيرة، وهم يستثيرون المسلمين، وكأنهم يوجهون الدعوة إلى المسلمين الراديكاليين للصراع، وكأنهم يستفزون المسلمين ويدفعونهم إلى مواجهة الاعتداء على الدين الإسلامى بالاعتداء على الدين المسيحى، وكأنهم يعطون المتطرفين فى العالم الإسلامى حجة للادعاء بأن هؤلاء المتعصبين فى أمريكا يمثلون كل أمريكا، وأنهما معا يمثلان تهديدا لعقيدة الإسلام، وهذا غير صحيح، بعد أن أظهرت استطلاعات الرأى الأخيرة أن ٢٥٪ من الأمريكيين فقط هم الذين يتقبلون آراء الإنجيليين الراديكاليين بسرعة ودون مناقشة، بينما ٧٥٪ من الأمريكيين لا يتأثرون بهم بمثل هذه الدرجة، ومن الضرورى أن يستمع المسلمون فى العالم إلى أصوات الأمريكيين الرافضين للعداء للإسلام حتى لا تسود فكرة أن هؤلاء الإنجيليين المتعصبين يمثلون أمريكا كلها..وأخيرا قال عقلاء أمريكا: يجب ألا نخجل من إدانة التعصب فى أمريكا كما نحرص على إدانته خارجها، ويجب أيضا ألا نخجل من إدانة التعصب الدينى ومحاكم التفتيش والحروب الصليبية فى الغرب فى الماضى والتعصب فى الحاضر أيضا، لتكون هذه هى نقطة البداية على طريق جديد خال من التعصب نسير فيه معا، ولا نطلب من الآخرين السير فيه بينما نسير نحن عكس الاتجاه.

▣ ▣ ▣

أخيرا- قد لا تكون هذه حربا ضد الإسلام، وقد تكون أسبابها الأطماع الامبراطورية فى السيطرة على المناطق الاستراتيجية من العالم، وعلى الثروات والأسواق ككل حروب التوسع الامبراطورية..والحروب الامبراطورية معروفة فى

التاريخ، منذ جنكيز خان إلى الامبراطورية الرومانية، إلى ألمانيا النازية..والحروب الامبراطورية تنتهى عادة وتزول آثارها بعد عشرات السنين.

لكن الحروب الدينية لا تنتهى، ولا تزول آثارها، ولذلك فهى أخطر أنواع الحروب.

لذلك نرجو ونرجو ألا تلجأ أمريكا إلى استخدام الدين، أو إطلاق المتعصبين فيها، للهجوم على الإسلام، ويكفى الإسلام ما يلاقيه من أعدائه وعلى أيدى بعض أبنائه.